دبلوماسية الاقاليم الانفصالية: اقليم كتالونيا انموذجاً

Diplomacy of separatist regions: Catalonia as a model

م. طالب ناجي علوان

كلية العلوم السياسية – جامعة تكريت

Talib.n.a@tu.edu.iq

تاريخ استلام البحث: ٢٠٢٥/١/١٠ تاريخ قبول النشر: ٢٠٢٥/٥/٢٧

الملخص:

تعد الدبلوماسية الأقاليم الانفصالية مسارًا معقدًا يسعى عبره الأقاليم التي تطمح للاستقلال إلى الحصول على الاعتراف الدولي، إذ يتداخل في هذه الدبلوماسية عوامل قانونية وسياسية معقدة، وتحاول الأقاليم تجاوز التحديات القانونية وضمان شرعيتها على الساحة الدولية، فضلاً عن ذلك، تؤدي العوامل البنائية دورًا مهماً في تمكين الإقليم من ممارسة الدبلوماسية بشكل فعّال، عبر بناء هياكل حكم وإدارة قوية داخليًا، أما العوامل الثقافية والقومية، فهي تعكس الهوية والانتماء الذي يعزز من موقف الإقليم في السعي نحو الاستقلال.

الكلمات المفتاحية: كتالونيا، اسبانيا، الدبلوماسية الموازية، الاقاليم الانفصالية.

Abstract:

The diplomacy of the secessionist regions is a complex path for the regions that aspire for independence to gain international recognition, as complex legal and political factors interfere in this diplomacy, and the regions attempt to overcome legal challenges and ensure legitimacy in the international arena. In addition, the structural factors play an important role in empowering the region to actively practice diplomacy, by building strong governance and management structures internally, as for the cultural and ethnic factors, they are the reflection of divinity and kinship which strengthens the position of the region in the pursuit of independence.

Keywords: Catalonia, Spain, parallel diplomacy, separatist regions.

المقدمة

افرزت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية والحرب البادرة بروز حركات انفصالية لبعض الاقاليم المتميزة عن باقي اقاليم الدولي من الناحية العرقية او القومية والتي بدأت تسعى للانفصال والحصول على دولة مستقلة، ففي الوقت الذي لا يزال العمل السياسي والدبلوماسي يقتصر على موظفي وزارة الخارجية الا ان هذا لم يمنع من بروز توجهات دولية نحو ايجاد اشخاص يطلق عليهم الدبلوماسيين، فبالرغم من كون الدبلوماسي يقتصر عمله على التمثيل والتفاوض، الا ان هناك من الاقاليم ممن استخدموا هؤلاء للمطالبة بالانفصال، وسمي هذا النوع بالدبلوماسية الموازية اي تلك التي تكون بالموازاة من السياسة الحكومية، ففي اسبانيا حاول قادة اقليم كتالونيا الانفصال عن اسبانيا عبر استخدام العديد من الاساليب المتنوعة والمتعددة

رغبةً منهم للحصول على مطالبهم السياسية، لذا جاءت هذه الدراسة لبيان دبلوماسية قادة اقليم كتالونيا في سعيهم الى الانفصال عن اسبانيا وتكوين دولتهم المستقلة، وهو ما سنوضحه في محاور دراستنا.

اولاً. اهمية الدراسة: تكمن اهمية الموضوع من خلال الاتي:

– الكشف عن المضامين النظرية المتعلقة بمفهوم الدبلوماسية الموازية كونها تمثل ظاهرة جديدة في العلاقات الدولية علاوةً على حداثتها النسبية وقلة استخدامها في المفردات السياسية في الوقت الحالي.

– اضفاء بعد أكاديمي جديد يتمحور حول دراسة دبلوماسية الانفصال لإقليم كتالونيا الذي قلما نجد من المصادر العربية التي تتحدث عن هذا الاقليم وعن دبلوماسية قادته.

– افتقار المكتبة العربية بشكل عام والعراقية بشكل خاص للموضوعات المتعلقة بالدبلوماسية الموازية لاسيما حول اقليم كتالونيا.

ثانياً. اشكالية الدراسة: تقوم الاشكالية على سؤال رئيسي مفاده البحث في طبيعية الدبلوماسية الموازية وتأثيرها في مساعي انفصال إقليم كتالونيا، ومن هذه الاشكالية الرئيسية تتفرع عدة تساؤلات فرعية منها:

– ماهية الدبلوماسية؟

– ما مفهوم الدبلوماسية الموازية وعوامل ظهورها؟

– اين يقع اقليم كتالونيا وما اسباب الانفصال؟

– ما هي اساليب قادة اقليم كتالونيا للحصول الاستقلال؟

ثالثاً. فرضية الدراسة: تقومن الفرضية على ان قادة إقليم كتالونيا استخدموا الدبلوماسية الموازية بشكل كبير في مساعيهم للانفصال عن اسبانيا، إلا انهم في الوقت نفسه لم ينجحوا في ذلك نتيجة رفض الحكومة الإسبانية لمساعي الاستقلال، لاسيما بعد العام ٢٠١٧ الذي شهد استخدام قوات الشرطة الاسبانية للقوة لإخماد التظاهرات المطالبة بالاستقلال.

رابعاً. مناهج الدراسة: في إطار تناول موضوع الدراسة تم الاستعانة بالمنهج التاريخي كونه الاكثر ملائمة للموضوعات المتعلقة بتتبع الاسباب التي تقف وراء مساعي اقليم كتالونيا للانفصال عن اسبانيا، فضلاً عن استخدام المنهج الوصفي التحليلي للكشف عن طبيعة استخدام الدبلوماسية الموازية في تدويل قضية الاقليم.

خامساً. هيكلية الدراسة: تم تقسيم هذه الدراسة الى مقدمة ومطلبين، تضمن المطلب الاول: ماهية الدبلوماسية الموازية وعوامل الظهور، بينما تضمن المطلب الثاني: التعريف بإقليم كتالونيا واسباب ودبلوماسية الانفصال، كما تضمنت الدراسة خاتمة كخلاصة لاهم ما تم التوصل اليه من قبل الباحثين.

المطلب الأول: ماهية الدبلوماسية الموازية وعوامل الظهور

اولاً. ماهية الدبلوماسية: تعود الاصول التاريخية لكلمة الدبلوماسية الى الحضارة اليونانية، فهي تشتق من اسم دبلوما المأخوذة من الفعل، وكانت تعني الوثيقة التي تصدر عن أصحاب السلطة والرؤساء السياسيين للمدن وتمنح حاملها امتيازات معينة، وقد استخدمها الرومان فيما بعد للإشارة إلى الوثيقة المطويّة، أو المكتوبة التي تطوى بشكل خاص، وتعطي بعض الامتيازات لمن يحملها مثل جواز السفر،

أو الاتفاقات التي كانت تعقد لترتيب العلاقات مع الجاليات، أو الجماعات الأجنبية الأخرى، وقد أخذت لفظة دبلوماسية السنوات بالتطور وتزايد استخدام وحتى نهاية القرن السابع عشر لاسيما في الأوراق والوثائق الرسمية وكيفية حفظها وتبويبها، وترجمة كلماتها وحلّ رموزها من كُتّاب متخصصين، أو ما يسمى أمناء المحفوظات، وأطلق على من يقوم بهذه المهمة اسم الدبلوماسي، وأطلق على العلم المتخصص بهذا الموضوع اسم الدبلوماسية وذلك نسبة إلى الدبلومات، ولم يتم استخدام لفظ الدبلوماسية أو الدبلوماسي للإشارة إلى المعنى المتعارف عليه اليوم، وهو إدارة العلاقات الدولية إلا في نهاية القرن الثامن عشر وتحديداً عام ١٧٩٦، اذ استخدمت كلمة باللغة الإنكليزية في بريطانيا وباتت الكلمة في ذلك الوقت تطلق على ممثلي الدول الأجنبية الذين يحملون كتب اعتماد من دولهم، كما عرفت عند قيام الثورة الفرنسية بمعنى التفاوض، وعرف الدبلوماسي في ابسط صورة على انه المفاوض، وأخذت كلمة الدبلوماسية تتطور وتكتسب بصورة محددة قواعدها الخاصة لاسيما بعد مؤتمر فينا المنعقد عام ١٨١٥، وفي ضوء هذا التطور ظهرت كوادر دبلوماسية متخصصة ومتميزة عن غيرها من رجال السياسة.[١]

اما فيما يخص الدبلوماسية الموازية فقد عرفت بأنها "هي تلك الجهود غير الرسمية المبذولة في المجال الدبلوماسي والتي تعنى بها الفواعل غير الرسمية من منظمات غير حكومية وهيئات المجتمع المدني ووسائل الاعلام وجماعات الضغط الدين يتمتعون بدرجة معينة من التخصص في مجالات مختلفة وذلك بهدف تنفيذ السياسة الخارجية عن طريق الاتصال والتعاون والحوار الدولي"، كما ان أول من استخدم هذا المفهوم هو الباحث الكندي بجامعة مونتريال، وقد استعمله الأمريكيون في إطار تجديد الدراسات حول النظام الفدرالي والسياسة المقارنة من أجل تشخيص النشاط الدولي للكيانات التابعة للدولة المركزية في كل من كندا والولايات المتحدة والأمريكية، وقد أخذ هذا النوع من الدبلوماسية في التطور وذلك تماشياً مع المشهد العالمي وظهرت عدة مفاهيم تعكس طبيعة هذا النوع من الدبلوماسية كالدبلوماسية الشعبية، الدبلوماسية البرلمانية ودبلوماسية المنظمات غير الحكومية وغيرها.[٢]

وتعرف الدبلوماسية الموازية ايضاً هي "تلك الانشطة التي يمارسها الدبلوماسيون وفق ما نصت عليه اتفاقية فيينا" [٣]، كما انها تسمى بالموازية كونها حكومية رسمية لكنها تستعمل طرائق موازية للدبلوماسية المهنية، يمكن الإشارة مثلا إلى الدبلوماسية السرية والدبلوماسية الشعبية التي تمارس عبر وسائل الإعلام، والدبلوماسية الاقتصادية على غرار الدبلوماسية الغازية والنفطية والرقمية والدبلوماسية الرياضية وهكذا، يتضح أن الدبلوماسية الحكومية تستخدم طرائق وأساليب موازية، وفضاءات تطبيقية مختلفة، تناظر الدبلوماسية الموازية الدبلوماسية الحكومية، لتبدو دبلوماسية غير حكومية، وتقسم ثلاثة أصناف الصنف الأول، دبلوماسية غير حكومية، لكنها رسمية في الآن نفسه، وتتمثل في الدبلوماسية البرلمانية من خلال التجمعات البرلمانية ومجموعات الصداقة، وتشريك البرلمانيين ضمن الوفود التي تحضر اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة.[٤]

ثانياً. عوامل ظهور الدبلوماسية الموازية: اسهمت العديد من العوامل الداخلية والخارجية في ظهور نوع جديد من الدبلوماسية والذي بات يعرف فيما بعد بالدبلوماسية الموازية، فالأسباب الداخلية تراوحت بين

القومية والجغرافية والسياسية والاقتصادية وحتى الثقافية، بعكس الاسباب الخارجية التي تلخصت في بالواقع الجديد الذي افرزته نهاية الحرب العالمية الثانية، ونهاية حقبة الحرب البادرة التي فرضت تغييرات دولية واقليمية نتج عنها بروز هذا المفهوم، لذلك اصبح لزاماً علينا البحث في عوامل او اسباب ظهور هذه الدبلوماسية، لاسيما على الصعيد الداخلي والخارجي، مبدئين بالعوامل الداخلية ومن ثم الخارجية، تباعاً.

١. **العوامل القانونية والسياسية:** شكلت نهاية حقبة الحرب البادرة بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي دافعاً رئيسياً وراء تطور الدبلوماسية بشكل عام والدبلوماسية الموازية بشكل خاص، اذ تزايدت خلال المرحلة التي اعقبت تفكك الاتحاد السوفيتي ادوار الفاعلين الجدد على الساحة الدولية الى جانب الدولة لاسيما الاقاليم الرامية الى الانفصال وتحديداً في الدول التي تمتلك انظمة سياسية لامركزية بسبب انتشار العولمة وتزايد الانشطة الاقتصادية والتجارية العابرة للحدود القومية، فهذه التغيرات في بنية النظام الدولي فرضت على الدول منح المزيد من الصلاحيات للأقاليم الفدرالية لإدارة شؤونها السياسية والاقتصادية والثقافية، خاصةً على الصعيد الخارجي وهو ما فتح الباب امام الكثير من الاقاليم للمطالبة بالاستقلال عن دولهم تحت مبررات مختلفة منها تاريخية وسياسية وثقافية وغيرها من الاسباب الاخرى، كما شكل تأسيس منظمة الامم المتحدة خلال حقبة الاربعينيات من القرن الماضي احد ابرز هذه العوامل لما له من تأثير في مرحلة الحرب البادرة، اذ ان ما اكدت عليه منظمة المتحدة هو حق تقرير المصير للشعوب والاقليات في الدول التي تعاني من اضطرابات او اضطهاد، وهذا بحد ذاته يؤشر لنا على ضرورة تبني الدول والاقاليم الراغبة بالانفصال دبلوماسية بهدف اقناع دولهم والدول الكبرى، وبالتالي بدأت الكثير من الاقاليم بالبحث عن الاستقلال والمطالبة عبر منبر الامم المتحدة بالمساعدة على اجراء استفتاءات بهدف تقرير المصير، وبالمقابل، يبرهن هذا الامر ان تأسيس هذه المنظمة (الامم المتحدة) يعد عاملاً رئيسياً ان لم نقل الاكثر تأثيراً بشكل ايجابي على ظهور الدبلوماسية الموازية.٥

كما اسهمت ظاهرة العولمة والتطورات العلمية والتكنلوجية في مجال المعلومات في تزايد العلاقات السياسية والاقتصادية والتجارية بشكل غير مسبوق بين الدول الامر الذي خلق فضاءات تبادلية بين الشعوب عبر شبكة عنكبوتية كالجمعيات والنقابات والاحزاب الدولية والمنظمات غير الحكومية، فهذه التطورات فرضت تطوير دبلوماسية لدى الاقليات والشعوب لتعبير عن ارادتها وحقها بالاستقلال او الحصول على حقوقها الكاملة دون نقصان.٦

٢. **العوامل البنيوية:** فرضت التغييرات التي شهدها النظام الدولي الجديد بعد تفك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ وتزايد ادوار الاقاليم في على صعيد السياسة الخارجية، ففي كندا مثلاً يطالب اقليم "كيبيك" بأدوار اكبر على صعيد السياسة الخارجية وهو ما ترفضه الحكومة الكندية باعتبار ان الاقليم لا يمتلك من الصلاحيات ما يؤهله لتأديت دور في السياسة الخارجية، وبالتالي فقد افرزت البنية الجديدة للنظام الدولي في بروز الكثير من المشكلات بين الحكومات والاقاليم ذات التميز العرقي او القومي او حتى الثقافي، وهذا ما ادى في نهاية المطاف لظهور الدبلوماسية الموازية بشكل اكثر مما كان عليه لاسيما في الاوساط السياسية الغربية، لما لهذه الدبلوماسية من دور في جعل النزاعات او الصراعات اكثر سلمية بعد ان كانت

ذات طابع مسلح او دموي وهذا ما نجدة بشكل كبير عندما اصبح اقليم كيبيك الكندي يحظى بالكثير من الاهتمام لدى النخب السياسية في مختلف دول العالم وليس في القارة الكندية فقط.٧

٣. العوامل الثقافية والقومية: دفع عامل الهوية والثقافة بالكثير من الاقاليم للانخراط في الشؤون الخارجية بهدف المطالبة بالدعم الدولي لقضيتهم وتعزيز برنامجهم الانفصالي، ففي اقليم كتلونيا والباسك في اسبانيا نجد بأنهم حاولوا خلال المرحلة التي سبقت الحرب العالمية الثانية المطالبة بالاستقلال وذلك بسبب الاضطهاد الذي تعرضت له قوميتهم على يد الحكومة المركزية، كما يرى سكان هذه الاقاليم بأنهم متميزون في نواحي الهوية والقومية، وبالتالي بدأت نخب هذه الاقاليم بتبني دبلوماسيات موازية بهدف ايصال صوتهم الى العالم الغربي لدعم حركتهم الانفصالية والاستقلال كجمهورية مستقلة.٨

المطلب الثاني: التعريف بإقليم كتالونيا واسباب ودبلوماسية الانفصال

اولاً. التعريف بالإقليم: تعد مدينة او مقاطعة كتالونيا أحد أكثر الأقاليم الاسبانية غنى وثراء فهي منطقة صناعية بامتياز، ذات نزعة استقلالية، وتعتز بهويتها ولغتها الخاصة، ويمتد تاريخ هذا الإقليم إلى العصور الوسطى، ويعتقد كثيرون من أهالي هذا الاقليم أنهم أمة مستقلة عن بقية اسبانيا، ويعزز هذه المشاعر الذكريات المرتبطة بمرحلة الرئيس الاسباني الاسبق "فرانسيسكو فرانكو" او الملقب بحسب الكتالونيين بالدكتاتور الذي حاول طمس الهوية الكتالونية، وينعكس الأمر بوضوح في التنافس الشرس بين نادي برشلونة ومنافسة ريال مدريد اللذين يمثلان قمة كرة القدم الإسبانية، اما فيما يخص موقع الاقليم فهو يقع في أقصى شمال الشرقي لإسبانيا وتفصله جبال البرانس عن منطقة جنوب فرنسا الذي يرتبط بها الإقليم بعلاقات وثيقة، وأغلب سكانه يعيشون في عاصمته برشلونة، التي تمثل مركزاً تجارياً واقتصادياً وسياسياً، علاوةً أنها نقطة جذب سياحية تحظى بشعبية كبيرة، ويشتهر الإقليم أيضا بالصناعات التقليدية وصناعة الكيماويات والأغذية المصنعة والمعادن، فضلا عن ازدهار قطاع الخدمات به.[٩]

وفيما يخص اسباب عدم قبول الحكومة الاسبانية بمساعي الانفصال الكتالونية فيرجع الى أهمية الإقليم الاقتصادية، ووفقا لموقع "سي إن بي سي"، ينتج الاقليم نحو ٢٠% من الناتج المحلي الإجمالي لإسبانيا سنوياً، وهو رقم كبير جدا عند المقارنة مع ناتج اسكتلندا الذي يمثل ٨% من الناتج المحلي البريطاني، فضلاً عن امتلاكه لمرافئ كتالونيا الذي يصدر حوالي ٢٥% من اجمالي صادرات إسبانيا، فيما يعمل ٥٠% من سكان المدينة بالمجال الصناعي والتجاري.[١٠]

ثانياً. اسباب السعي للانفصال: امتلك الكتالونيون علم خاص بهم ونشيدا وطنيا لإقليمهم، ولغة خاصة مع الإسبانية، إلا أن مطالب المواطنين في الإقليم تتخطى هذه الحدود ليصبحوا "دولة كتالونيا المستقلة"، ويرى الكتالونيون الانفصاليون أنهم أصحاب دولة مستقلة استولت عليها إسبانيا بالقوة في القرن العاشر الميلادي، ويرى قادة الإقليم أنهم نجحوا في النجاة من أزمات اقتصادية عدة بسبب ما تمتلكه كتالونيا من قدرات صناعية، فالإقليم يقدم ثلث الإنتاج الصناعي الإسباني، وهو ما يشجع إدارة الإقليم على المطالبة في أن تكون كتالونيا دولة مستقلة، وغير مثقلة بأعباء الحكومة الإسبانية، ويشعر الكثير من سكان كتالونيا بأن المنطقة كانت ستتعامل

بشكل أفضل مع الأزمات المالية في حالة عدم إجبارها على تسليم جزء من عائدات ضرائبها إلى المناطق الإسبانية الأكثر فقرا، وتعد مدينة برشلونة أحد أهم الموانئ الإسبانية على البحر المتوسط، وإحدى أهم نقاط الاتصال مع العالم الخارجي عبر مطارها الدولي، ما التأثيرات المحتملة للانفصال، هناك تبعات اقتصادية لاحتمالية استقلال كتالونيا من بينها تراجع لمعدل نمو الناتج القومي للإقليم بنسبة ٢٠%، مع الأخذ في الاعتبار أنه سوف يستتبع ذلك الخروج من الاتحاد الأوروبي، كما سوف تضرر التجارة مع إسبانيا، التي تعد أكبر أسواق كتالونيا، اذ يتلقى ٤٠% من صادراتها، فضلا عن الاستبعاد من منطقة اليورو، ووفقا للخبراء فإن عملية الاستقلال لن تنجح، حيث تحظى سلطة الحكم الذاتي بإقليم كتالونيا بصلاحيات واسعة للغاية والعديد من السلطات تتعلق بقطاعات الصحة والتعليم، علاوةً على أن (الكتالونية تعد لغة تعامل رسمية للتواصل المشترك)، الخدمات الاجتماعية، الشرطة المحلية، كما تحظى بحكومة مركزية لضمان الخدمات الأساسية اذ استثمرت الحكومة المركزية "مدريد" خلال السنوات الأخيرة أكثر من ٦٠ مليار يورو في صندوق السيولة الخاصة بمناطق الحكم الذاتي، (الحكومة الكتالونية مستبعدة بالفعل من أسواق المال وسنداتها المالية تحظى بتصنيف متدني للغاية، ومن ثم قامت الحكومة الإسبانية التي تحظى سنداتها بتصنيف أفضل بكثير بالحصول على قروض من الأسواق وضخها في كتالونيا عبر، كما استثمرت الدولة في كتالونيا في السنوات الأخيرة ١١ مليار و٢٠٠ مليون يورو في قطاعات الطاقة والاتصالات وغيرها، حسبما ذكرت صحيفة "الكونفيدنثيال" الإسبانية.[١١]

ثالثاً. دبلوماسية الانفصال لقادة الاقليم: يحاول قادة الاقليم منذ سنوات طويلة اجراء العديد من الاستفتاءات الشعبية لتقرير مصير الاقليم والانفصال عن اسبانيا، فضلاً عن المطالبة بتوسيع صلاحيات الحكم الذاتي في الاقليم، ففي العام ٢٠٠٦ تم اجراء استفتاء شعبي افرزت نتائجة مطالبة اغلبية السكان بالانفصال عن اسبانيا، وبعد مفاوضات مع رئيس الحكومة الإسبانية السابق خوسيه لويس ثاباتيرو، ومصادقة البرلمان الإسباني عليه الا ان طعن الحزب الشعبي المعارض في ذلك الوقت بزعامة ماريانو راخوي أمام المحكمة الدستورية، في العام حزيران ٢٠١٠، والذي على اثره ألغت المحكمة الدستورية جزءا من قانون الحكم الذاتي الجديد، وهو ما ترك تعريف كتالونيا بأنها أمة "بدون قيمة قانونية"، فتظاهر آلاف الكتالونيين غاضبين "نحن أمة"، وبحلول العام ٢٠١٢ اعادة قادة الاقليم المطالبة بالانفصال الا ان الرئيس الحكومة الاسبانية قد رفض التفاوض مع رئيس إقليم كتالونيا "أرتور ماس" حول توسيع صلاحيات الحكم الذاتي المالية للإقليم.

وتكرر الامر نفسه في ١٤ تشرين الثاني ٢٠١٤ تم اجراء استفتاء اخر فيما اعلنت الحكومة رفضها للنتائج واعتبرتها مجرد انتخابات اقليمية، وفي كانون الاول عام ٢٠١٦ رفض رئيس الحكومة الاسبانية "ماريانو راخوي" بشكل قاطع إمكانية إجراء أي استفتاء بإقليم كتالونيا، ويدعو الزعماء المحليين إلى الكف عن محاولات إجراء استفتاء، لتعاد الكرة مره اخرى ولكن هذه المرة في تشرين الاول ٢٠١٧، عندما اقر قادة الاقليم القيام بالتصويت السري للانفصال عن اسبانيا، وذلك لان برلمان الاقليم قد صوت ٧٠ عضو من اصل ١٣٥ لصالح الانفصال بالمقابل أقر مجلس الشيوخ الإسباني تفعيل المادة ١٥٥ من الدستور لتعليق الحكم الذاتي بإقليم كتالونيا وتولي حكومة مدريد إدارة الإقليم مباشرة.[١٢]

لتظهر ملامح الازمة بين قادة الاقليم والحكومة الاسبانية الى العلن، اذ اظهرت وسائل الاعلام العالمية المشاهد المروعة لعنف الشرطة الجامح في كتالونيا لألحاق الضرر الكبير بالصورة الدولية لإسبانيا، لا يوجد دليل على وقوف زعيم عالمي جنبًا إلى جنب مع رئيس الوزراء الإسباني بشأن تكتيكات الشرطة المستخدمة لوقف استفتاء الاستقلال الكتالوني، الذي أعلنت إسبانيا أنه غير قانوني.[١٣]

وفي السياق نفسه حاول قادة الاقليم تدويل ازمة اقليم كتالونيا سعياً منهم لجعلها قضية رأي عام عالمية، وذلك عبر استمالة التعاطف الاوربي والدولي، ففي العام ٢٠١٧ تواصل قادة الاقليم مع أحد مستشاري وزير الخارجية الروسي والمعروف بـ "تيكولاي سادوفنيكوف" وقد عرض الاخير الى قادة الاقليم القوات والمال للانفصال عن إسبانيا، وقد وصفت الصحافة الغربية هذا الرجل بأنه "ممثل للدبلوماسية الروسية الموازية"، والذي لطالما رافق وزير الخارجية الروسي "سيرجي لافروف" في رحلات حول الشرق الأوسط.[١٤]

كما استخدم قادة الاقليم الدبلوماسية الرياضية عبر استخدام ملعب الكامب نو الرياضي لنادي برشلونة لإيصال رسائلهم الى العالم، ففي معظم مباريات النادي الكتالوني كانت الجماهير تهتف بكلمات تدعوا للانفصال مثل (إندبندنسيا! إندبندنسيا! إندبندنسيا) والتي تعني باللغة الكتلانية الاستقلال في دلالة واضحة على المساعي الانفصالية لسكان الاقليم.[١٥]

خلاصة ما تقدم، لقد سعى قادة الاقليم في السنوات الاخيرة لاستخدام شعار نادي برشلونة والرياضيين المشاهير الموجدين فيه كعنصر رئيسي لدبلوماسيتهم الانفصالية وذلك لان الحكومة الاسبانية لا تزال تقمع اي محاولة للانفصال او ايصال صوتهم الى العالم، وبذلك يبقى على الكتالونيين انتظار فرصة مناسبة لإعلان دولتهم المستقلة بعيداً عن اسبانيا.

الخاتمة

يمكن القول لقد كشفت دراسة الدبلوماسية الموازية لإقليم كتالونيا عن وجود أبعاد معقدة تتقاطع فيها الجوانب السياسية والقانونية والثقافية وحتى القومية، مما يجعل من الدبلوماسية الموازية أداة استراتيجية للأقاليم التي تسعى إلى إعادة تعريف موقعها داخل الدولة أو الانفصال عنها بالكامل، فلقد تبين عبر تحليل حالة اقليم كتالونيا أن الدبلوماسية الموازية ليست مجرد تحرك خارجي رمزي، بل هي وسيلة منظمة تستند إلى بنية مؤسساتية داخل الإقليم، وتستغل هامش المناورة المتاح في النظام الدولي، لاسيما في ظل عولمة العلاقات الدولية، وتنامي دور الفواعل ما دون الدول.

كما أوضحت الدراسة أن عوامل ظهور هذه الدبلوماسية لا تنفصل عن السياقات الداخلية، سواء من حيث الاطر القانوني التي تمنح بعض الصلاحيات للأقاليم، أو التراكمات التاريخية المرتبطة بالهوية الخاصة واللغة والثقافة، فضلاً عن الإحساس بعدم العدالة في توزيع الموارد السياسية والاقتصادية، مما دفع الإقليم إلى السعي لتأكيد ذاته خارج حدود الدولة.

فضلاً عن ذلك فإن تجربة اقليم كتالونيا، على الرغم ما حققته من زخم إعلامي وسياسي على المستوى الدولي، إلا أنها كشفت كذلك عن محدودية تأثير الدبلوماسية الإقليمية في ظل غياب الاعتراف الدولي، وتفوق منطق السيادة التقليدية للدولة القومية في النظام العالمي، فالمجتمع الدولي ما زال مترددًا في التعامل مع الكيانات غير المستقلة رسميًا، مما أضعف فرص نجاح هذه الأقاليم في نيل الاعتراف.

ختاماً، يعكس موضوع دبلوماسية الأقاليم الانفصالية تحولاً في مفهوم الدبلوماسية التقليدية، ويستدعي إعادة النظر في آليات التفاعل بين الفواعل الدولية، لاسيما مع تنامي النزعات الهوياتية، واتساع الفجوة بين المركز والأطراف، مما يفرض تحديات كبيرة على وحدة الدولة الحديثة واستقرار النظام الدولي.

كما توصلت الدراسة الى بعض الاستنتاجات هي:

– عند قراءة الجانب التاريخي لقضية استقلال اقليم كتالونيا، تبين بأنها قضية ذات جذور قومية وعرقية باعتبار سكان هذه الاقليم لهم لغة خاصة بهم وثقافة مختلفة عن باقي مدن اسبانيا، فضلاً عن ذلك فقد تعرض هذا الاقليم منذ ثلاثينيات القرن العشرين للكثير من الاضطهاد من قبل الدكتاتور فرانكو الذي هو من اصول العاصمة مدريد، فهذا ما دفع بالعديد من القوميين الكتلونيين لترويج بأن الحكومة الاسبانية المتمثلة بالعاصمة مدريد تريد طمس الهوية الكتالونية وهذا ما اعطى للقضية شعبية كبيرة في داخل اقليم كتالونيا.

– لقد اظهرت السنوات الماضية التي اجريت فيها العديد من الاستفتاءات الشعبية للمطالبة بالانفصال، الا انها قوبلت بالرفض من قبل الحكومة الاسبانية، ولكن يبدو من خلال القراءة بأن قاد الاقليم بدوا استخدام الاستفتاءات السرية لدى في مجلس الاقليم ساعياً منهم للانفصال الاحادي الجانب (بمعنى من الاقليم فقط) بهدف فرض الامر الواقع على الحكومة الاسبانية.

– يعد استخدام دبلوماسية كرة القدم من اكثر الادوات التي سيركز عليها قادة الاقاليم في السنوات القادمة، وذلك لأنها الاكثر تأثير في القضية الكتالونية باعتبار ان نادي برشلونة يمتلك ثقل جماهيري كبير على الصعيد العالمي، كما انها ستجنب الحكومة الكتالونية الصدام مع قوات الشرطة والجيش الاسباني وهذا ما سيعقد الوضع اكثر، لذلك من المتوقع في ظل المعطيات التاريخية والحالية، ان يزداد التوجه نحو هذه الدبلوماسية فحتى في حال عدم الحصول على دولتهم المستقلة الا انهم سيعززون من الاستقلال الذاتي على الصعيد السياسي والاقتصادي وهذا بدوره يعد مرحلة اولية وسابقة لعملية الانفصال بشكل تام في السنوات القادمة.

الهوامش:

(١) فيصل براء متين، الدبلوماسية – Diplomacy، الموسوعة السياسية، ٢٠١٦-٠٢-١١، في: ٢٠٢٥/٥/٢٢
https://politicalencyclopedia.org/dictionary/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%A8%D9%84%D9%88%D9%85%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9

(٢) عبدالحكيم سليمان وادي، الدبلوماسية الرسمية والدبلوماسية المتعددة المسارات، الحوار المتمدن، ٢٠١٣/١٢/٢٦، في: ٢٠٢٥/٥/٢٢ https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=392990

(٣) جوهر جموسي، الافتراضي والثورة مكانة الانترنت في نشأة مجتمع مدني عربي (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٥)، ص ٥٤-٥٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٥-٦٦.

(٥) ايناس عبد السادة علي، البارادبلوماسي لمحة تعريفية موجزة، المجلة العربية للنشر العلمي، العدد ١٥، ٢٠٢٠، ص ٤٠-٤١. وايضاً ينظر: بخاري جميل علي، جريمة الإرهاب الدولي ومشروعية نضال حركات التحرر الوطني: إقليم كوردستان نموذجا، عمان، دار المنهل، ٢٠٢٠، ص ٢٨٥.

(٦) عيسى بورقة، الدبلوماسية البرلمانية واسهاماتها في حل الخلافات العالمية والوطنية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، جامعة وهران – كلية الحقوق والعلوم السياسية، ٢٠١٥، ص ١ – ٤١.

(٧) اندرية لوكر، المناحي السياسي للدبلوماسية الموازية دروس من العالم المتقدم، ترجمة: محمد كاظم صالح، مجلة سياسات عربية، العدد ٤٣، ٢٠٢٠، ص ١٠٣-١٠٤.

(٨) ايمن الدسوقي، الدبلوماسية التأسيسية للأقاليم الساعية للانفصال دراسة نظرية تطبيقية، القاهرة، مجلة السياسية الدولية، العدد ٢٢٣، ٢٠٢١، ص٤٠.

(٩) تعرف على إقليم كاتالونيا الذي يسعى للاستقلال عن أسبانيا، bbc news، ١٦ ايلول ٢٠١٧، في: ٢٠٢٥/٥/٢٥ https://www.bbc.com/arabic/world-41293273

(١٠) لماذا تتمسك إسبانيا بإقليم كتالونيا؟، سكاي نيوز عربية، ١ أكتوبر ٢٠١٧، في: ٢٠٢٥/٥/٢٥ https://www.skynewsarabia.com/world/984814

(١١) س وج كل ما تريد معرفته عن أزمة استقلال كتالونيا؟ لماذا يريد الإقليم الانفصال عن إسبانيا؟ وما هي سيناريوهات استفتاء تقرير المصير؟ وهل سيتم إجراء انتخابات ٢٠٢١؟ وما هو دور الرئيس السابق في الأزمة؟، صحيفة اليوم السابع، ٢٠ أغسطس ٢٠٢٠، في: ٢٠٢٥/٥/٢٥ https://www.youm7.com/story/2020/8/20/

(١٢) كتالونيا نحو تحقيق حلم الانفصال، الجزيرة نت، ٢٠١٥/١١/١٣، في: ٢٠٢٥/٥/٢٥ https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2015/11/13/

(13) Andrew Dowling, Catalonia's road towards secession has complex roots, Financial Times, 2 OCTOBER 2017, in: 25/5/2025 https://www.ft.com/content/bf9b908c-a788-11e7-ab66-21cc87a2edde

(14) James O'Brien, Fueling Secession, Promising Bitcoins: How a Russian Operator Urged Catalonian Leaders to Break With Madrid, Organized Crime and Corruption Reporting Project, 8 May 2022, in: 25/5/2025https://www.occrp.org/en/investigations/fueling-secession-promising-bitcoins-how-a-russian-operator-urged-catalonian-leaders-to-break-with-madrid

(15) JOSEPH WILSON, Sports, politics mix in Barcelona in Catalonia secession bid , Los Angeles Times,23 SEPT 2015 , in: 25/5/2025 https://www.latimes.com/nation/sns-bc-eu--spain-catalonia-football-and-politics-20150923-story.html

قائمة المصادر المراجع

اولاً. المصادر باللغة العربية

الكتب:

بخاري جميل علي، جريمة الإرهاب الدولي ومشروعية نضال حركات التحرر الوطني: إقليم كوردستان نموذجا (عمان: دار المنهل، ٢٠٢٠).

جوهر الجموسي، الافتراضي والثورة مكانة الانترنت في نشأة مجتمع مدني عربي (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٦).

البحوث والدراسات:

اندرية لوكر، المناحي السياسي للدبلوماسية الموازية دروس من العالم المتقدم، ترجمة: محمد كاظم صالح، مجلة سياسات عربية، العدد ٤٣، ٢٠٢٠.

ايمن الدسوقي، الدبلوماسية التأسيسية للأقاليم الساعية للانفصال دراسة نظرية تطبيقية، القاهرة، مجلة السياسية الدولية، العدد ٢٢٣، ٢٠٢١.

ايناس عبد السادة علي، البارادبلوماسي لمحة تعريفية موجزة، المجلة العربية للنشر العلمي، العدد ١٥، ٢٠٢٠.

الرسائل والأطاريح:

عيسى بورقة، الدبلوماسية البرلمانية واسهاماتها في حل الخلافات العالمية والوطنية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، جامعة وهران – كلية الحقوق والعلوم السياسية، ٢٠١٥.

الانترنيت:

كتالونيا نحو تحقيق حلم الانفصال، الجزيرة نت، ٢٠١٥/١١/١٣، في: ٢٠١٥/١١/١٣
https://www.aljazeera.net/encyclopedia

س وج كل ما تريد معرفته عن أزمة استقلال كتالونيا؟ لماذا يريد الإقليم الانفصال عن إسبانيا؟ وما هي سيناريوهات استفتاء تقرير المصير، صحيفة اليوم السابع، ٢٠ أغسطس ٢٠٢٠، في: ٢٠٢٠/٨/٢٠
https://www.youm7.com/story

لماذا تتمسك إسبانيا بإقليم كتالونيا؟، سكاي نيوز عربية، ١ أكتوبر ٢٠١٧، في:
https://www.skynewsarabia.com/world/984814-

تعرف على إقليم كاتالونيا الذي يسعى للاستقلال عن أسبانيا، bbc news، ١٦ ايلول ٢٠١٧، في:
https://www.bbc.com/arabic/world-41293273

عبدالحكيم سليمان وادي، الدبلوماسية الرسمية والدبلوماسية المتعددة المسارات، الحوار المتمدن، ٢٠١٣/١٢/٢٦، في: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=392990

فيصل براء متين، الدبلوماسية – Diplomacy، الموسوعة السياسية، ٢٠١٦-٠٢-١١، في:
https://politicalencyclopedia.org/dictionary/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%A8%D9%84%D9%88%D9%85%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9

ثانياً. المصادر باللغة الانكليزية:

web:

Andrew Dowling, Catalonia's road towards secession has complex roots, Financial Times , 2 OCTOBER 2017 , in:
https://www.ft.com/content/bf9b908c-a788-11e7-ab66-21cc87a2edde

James O'Brien, Fueling Secession, Promising Bitcoins: How a Russian Operator Urged Catalonian Leaders to Break With Madrid, Organized Crime and Corruption Reporting Project, 8 May 2022 , in:
https://www.occrp.org/en/investigations/fueling-secession-promising-bitcoins-how-a-russian-operator-urged-catalonian-leaders-to-break-with-madrid

JOSEPH WILSON , Sports, politics mix in Barcelona in Catalonia secession bid , Los Angeles Times ,23 SEPT 2015 , in:
https://www.latimes.com/nation/sns-bc-eu--spain-catalonia-football-and-politics-20150923-story.html